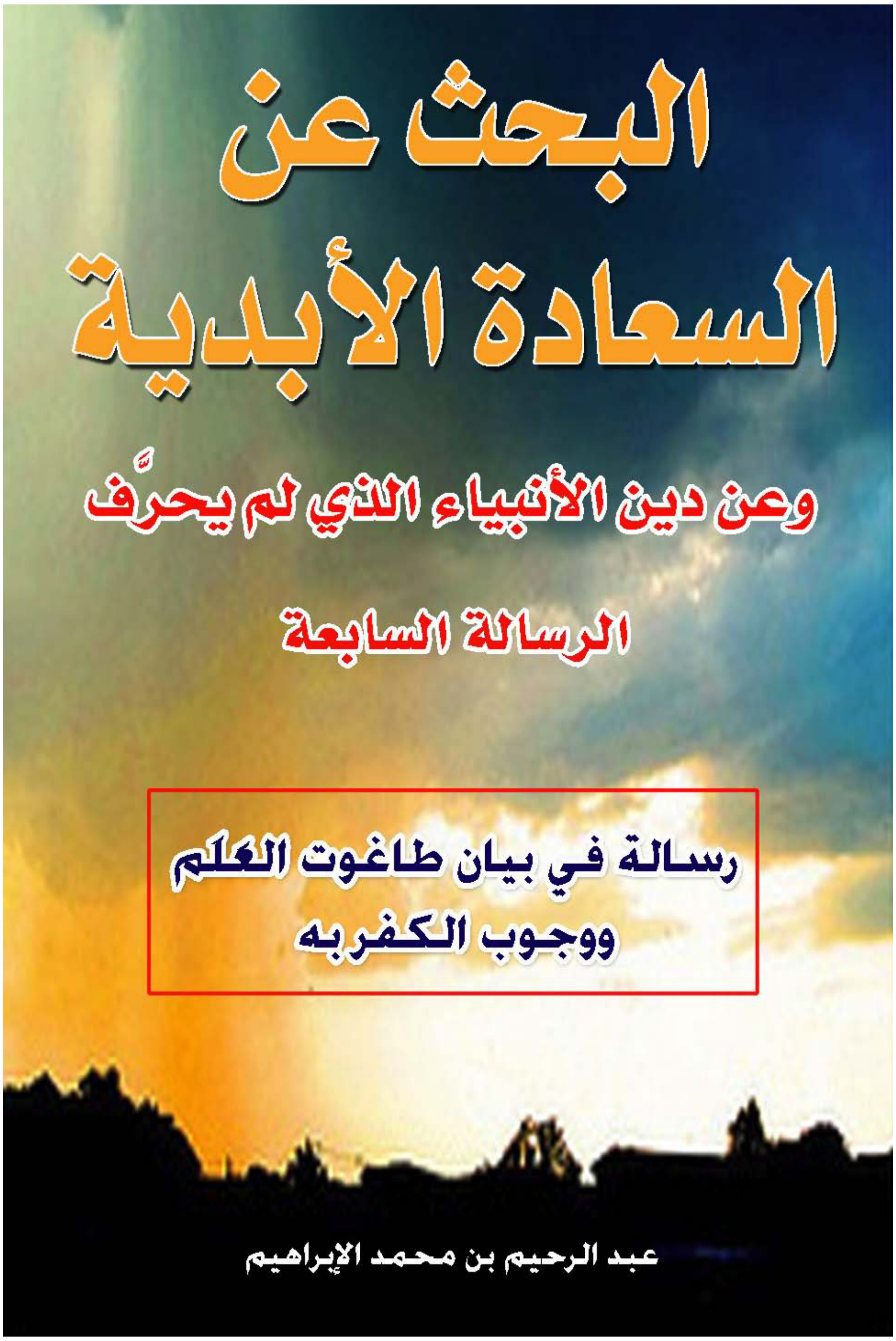

البحث عن
السعادة الأبدية
وعن دين الأنبياء الذي لم يحرَّف
الرسالة السابعة
رسالة في بيان طاغوت العلم
ووجوب الكفربه
عبد الرحيم بن محمد الإبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين «الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» وجعله تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون .

روى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال : «**إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**» .

وروى الترمذي في سننه عن النبي ﷺ قال : «**إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ ، فطوبى للغرباء**» رواه الترمذي .

وروى أيضاً عن النبي ﷺ قال : «**لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**» رواه الترمذي .

وبعد ، يقول الله تعالى : ﴿**وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢)**﴾ **(المائدة)** .

لقد حرم الله عز وجل على الجنة أن تدخلها نفس غير نفس مسلمة ، وبين أن من أشرك به سبحانه فإن مأواه النار خالدا فيها وما للظالمين من أنصار .

فالشرك بالله هو أعظم ذنب عصي الله تعالى به ، والوقوع فيه مهلكة في الدنيا والآخرة ، وهو من أعظم ما يصبوا إليه الشيطان فهو هدفه المنشود ومبتغاه الأسمى : ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)**﴾ **(ص)** .

فالذين أخلصوا دينهم لله وعرفوا توحيد الله هم الناجون من إغوائه

وإضلاله ، ولا يقع في شركه إلا من أعرض عن هذا الدين وجهله وكبر عليه تعلمه ، وأضاع الغاية التي من أجلها خلق ، ورغب في تعلم كل علم تافه من علوم الدنيا الفانية إلا علم التوحيد : ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ⑦﴾ [الروم] .

فمن أعرض عن الله أعرض الله عنه ، ومن هان عليه تعلم دين الله أهانه الله : ﴿**وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** ⑱﴾ (الحج) .

فالإشراك بالله من أعظم الموبقات التي تردي الإنسان ومن لم يتعرف عليه ويميز ما بينه وبين التوحيد كان من أهله . وقد قال الفاروق رضى الله عنه : «**إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية**» .

﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾

قال الله تعالى : ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ **(البقرة : ١٢٠)** .

ما أعظم هذه الآية إذا ما وقفنا عليها وتأملناها حق التأمل وعرفنا حقيقة عدونا اللعين من شياطين الجن والإنس من اليهود والنصارى وغيرهم الذين احتلوا بلاد الإسلام فلم يخرجوا منها حتى قننوا لنا الدساتير ، وأسسوا لنا تعاليم الشرك ونظمه وأحكامه ووسائله ، وهيئوا لنا نصب الأوثان وصرف العبادة لها . ومن ثم إقامة الأعياد الجاهلية إبتهاجاً بإتمام هذا الشرك .

فالله أكبر إنها السنن . كما قال المصطفى ﷺ : «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم» قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟** قال «**فمن**» رواه البخاري .

فها هي الأمة قد اتبعت سنن الذين ظلموا من قبل في كل صغيرة وكبيرة . وأولها هو الدخول فى دين الشرك الذي دخلت به الأمم السابقة ، فقد جاء عن نبينا المصطفى ﷺ قوله : «**لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**» رواه الترمذي . وقال حديث حسن صحيح .

وقد لحق أفواج من هذه الأمة بالمشركين . فعبدوا الأوثان والقبور وغير ذلك **وجلبوا** من الغرب الثقافات الشيطانية والتعاليم الشركية .

فجلبوا في ذلك الدساتير والقوانين الوضعية الطاغوتية وصرفوا لها عبادة التحاكم .

وجلبوا التعاليم الجاهلية الوثنية وما دعت إليه من نصب الرايات والأعلام وصرفوا لها عبادة القيام .

وجلبوا الأفكار والمناهج الشركية . كفكرة الديمقراطية (التى تصرف حق التشريع المطلق الذى لا يكون إلا للرب عز وجل للشعب فنصبوا المشرعين فى البرلمانات وهو من اتخاذ البشر بعضهم بعضا أربابا من دون الله .

وجلبوا التعاليم الكفرية التى هي من وحي الشيطان وما فيها من عبودية البشر كما هو حاصل فى تلك المعاهد والمدارس العسكرية التى تدعو إلى الخضوع للبشر من حلق الرأس ، والقيام بين يدي أسيادهم ساكنين خاشعين . كما يقوم المسلم فى صلاته ساكنا بين يدي ربه ، بل إن قيامهم بين يدي أسيادهم أعظم من قيامهم بين يدي الله عز وجل ، يبرهن ذلك أيضاً تلك التحية العسكرية التى يلقونها بينهم وما فيها من العبودية والخضوع بضرب الرجل على الأرض وهو يذكرنا بعبودية الملائكة لربها جل وعلا عند سماعها لكلام الله تعالى بالوحي إذا قضى الله الأمر فى السماء ، فتضرب بأجنحتها خضعاناً لله عز وجل . ففي صحيح البخاري عند النبي ﷺ أنه قال : «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣)﴾ (سبأ)**» .

فهذا إذاً ما أراده منا عدونا ، وهو مصداق قوله تعالى : ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ **(البقرة : ١٢٠)** .

وهذه هي المشابهة الأولى وهي دخول هذه الأمة فى دين الشرك الذى دخلت به غيرها من الأمم .

المشابهة الثانية
فى نصب الأنصاب والأعلام والأوثان
في كل بقعة من البقاع وندب الناس إلى صرف العبادة لها

وهي سنة المشركين في كل زمان ومكان . قال تعالى : ﴿**أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ** (٥٣)﴾ **(الذاريات)** .

والوثن : هو الشيء المقيم فى مكانه ، الراكد ، الثابت ، الدائم (لسان العرب)

وقوله عز وجل : ﴿**إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (٩٠)﴾ **(المائدة)** .

فإن الأنصاب هنا : هو كل ما ينصب ويجعل له شيئاً من العبادة . سواء كان صنماً أو صليباً أو عَلَماً أو غير ذلك . وما أقبح ما وصفت به هذه الأنصاب المعبودة والأعلام المنصوبة بإنها رجس من عمل الشيطان .

فنصب الأنصاب - إذاً - هي سنة المشركين ، وأول من اتخذ هذه السنة هم قوم نوح .

روى البخاري فى صحيحه عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : ﴿**وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** (٢٣)﴾ **(نوح :٢٣)** قال ابن عباس : «**هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد . حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت**» .

وهذا هو أول شرك الأمم جميعها . وسببه :

(الجهل) كما في قول ابن عباس (حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم)

(والغلو فى المحبة) وهو الإفراط في محبة الغير .

والأخير هو أصل وأساس شرك العالم . يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في الجواب الكافي : (وأصل الشرك بالله : الإشراك في المحبة) قال تعالى : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**﴾ (البقرة : ١٦٥)أهـ .

فإذا غلا الإنسان وأفرط في محبة غير الله عبده . وكما يقال : أن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده ، وما من أمة إلا وكان أصل الإشراك عندها ذلك الشيء .

فأمة بني إسرائيل لما شغفت قلوبهم بمحبة العجل ، وتشربت قلوبهم محبته . عبدوه . قال تعالى : ﴿**وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ**﴾ **(البقرة :٩٣)** .

وأمة النصارى لما شغفت قلوبهم بمحبة المسيح وغلوا فى محبته ألهوه ، وعبدوا الصليب وجعلوه شعارا لهم على دينهم الفاسد .

وكذلك سائر الأمم التى اتبعت هذه السنن لما شغفت قلوبهم بمحبة غير الله عبدوا ذلك الغير . وهذه هي سنة إبليس لعنه الله . في إغواء وإضلال بني آدم . قال تعالى : ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴿٦٠﴾﴾ **(يس)** .

فإذا كان قوم نوح قد أحبوا الصالحين وغلو فى محبتهم حتى اتخذوا لهؤلاء الصالحين صورا (ترمز لهم) وهي التماثيل . فعبدوها . فإن مشركي هذا الزمان

قد اتبعوا هذه السنة عندما غلو فى محبة الأوطان فوالوا لأجلها وعادوا لأجلها واتخذوا لها شعارات (ترمز لها) وهي الأعلام وجعلوا لها نصيباً من العبادة .

نعم إنها السنن حذو القذة بالقذة . قال تعالى : ﴿**أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ** (٥٣)﴾ **(الذاريات)** .

ثم لك أخي أن تتأمل سياق الأثر الوارد عن ابن عباس : «**فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا فى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصاباً**» .

وما أشبه هذه الصورة بما عليه عباد الأوثان والأعلام في هذا الزمان عندما نصبوا أعلامهم في مجالسهم وساحاتهم ومحافلهم ، واتبعوا هذه السنة في عبادة تلك الأنصاب .

ثم لك أن تتأمل أيضاً ما وقعت به قريش عندما نصبوا الأنصاب وعبدوهاوكانوا يزعمون أنهم على دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

قال ابن منظور فى لسان العرب : (وكان عبدة الأوثان فى الجاهلية يقولون : نحن حنفاء على دين إبراهيم) .

وقد فارقوامنذ مجيىء عمرو بن لحي بتلك الأنصاب من الشام ما كان عليه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام . فلم تنفعهم دعواهم (إنهم حنفاء على دين إبراهيم) مع وقوعهم في الشرك . فما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً **ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين** .

كما لا ينفع هؤلاء المشركين دعواهم أنهم (حنفاء على دين محمد ﷺ وأنهم من أهل لا إله إلا الله) . مع تلبسهم بالشرك بصرف عبادة القيام لهذه الأعلام . وقد قال تعالى : ﴿**أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ** (٤٣)﴾ **(القمر)** .

ثم لك أن تتأمل كذلك صنيع الخزاعي عمرو بن لحي طاغوت قريش المطاع فى قومه والذى جلب الأوثان والتماثيل من أرض الشام ووضعها فى أرض مكة وحول الكعبة وندب الناس ودعاهم إلى صرف عبادة الذبح لها .

وصنيع الطواغيت فى هذا الزمان الذين جلبوا الدساتير والقوانين الطاغوتية التى تخالف حكم الرب عز وجل . كما سماها الله تعالى بذلك : ﴿**يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به**﴾ ووضعوها في ديار الإسلام وندبوا الناس ودعوهم إلى صرف عبادة التحاكم لهذه الطواغيت .

ثم لك أن تتأمل أيضاَ صنيع من اتخذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله عندما صرفوا لهم أصل التشريع والتحليل والتحريم واتبعوهم على ذلك .

وصنيع من رشح المخلوقين وصوت لهم ونصبهم فى مناصب المشرعين (**فى البرلمان**) وأعطاهم بهذا الفعل صفة التشريع المطلق التى لا تكون إلا لله عز وجل .

فإذا كان لم ينفع عدي بن حاتم نفيه للشرك . بقوله للنبي ﷺ : «**إنا لسنا نعبدهم**» مع تلبسه فيه ! .

فكيف ينفع الذين ينصبون المشرعين قولهم : «**إنا لم نتخذهم أرباباً من دون الله**» مع تلبسهم بالشرك ! ! .

فالحاصل من ذلك كله أن عبودية الخلق للخلق تتحقق بصرف شيء من خصائص الخالق للمخلوق . فمتى تحقق عند الإنسان شيئاً من ذلك فقد جعل المخلوق نداً للخالق سواء نفى ذلك أو أثبت .

بيان أن القيام من صور العبادة التي لا تكون إلا لله عز وجل وأن من صرف هذه العبادة لغير الله من وثن أو عَلَم أو صليب فقد دخل في دين الشرك المنافي لدين التوحيد

وحقيقة ذلك كله متوقف على تبصُّر العبد بأمر الجاهلية ، ومعرفته التامة بأنواع العبادة وصورها ، فإن للعبادة صور منها القيام ، والركوع ، والسجود ، والطواف ، وقد قرن المولى سبحانه بين هذه العبادات ، وبين أحقيته بها بقوله :

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦)﴾ (الحج : ٢٦) .

وقال تعالى : **﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨)﴾ (البقرة : ٢٣٨)** .

وقال تعالى : **﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (الزمر :٩)** .

وقال تعالى : **﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤)﴾ (الفرقان :٦٤)** .

فقوله عز وجل (**قانتين**) القنوت هنا : هو السكون المقرون بالصمت والسكوت . فمن قام لعَلَم أو وثن على وجه السكون كان مشركا بالله تعالى خارجاً عن الإسلام .

وقد ابتلي بهذا النوع من الشرك خلق كثير وجبل كثير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فلا يكاد أن يسلم من هذا الشرك إلا من سلمه الله تعالى برحمته ، وهذا كله من اجتيال الشياطين كما أخبر المولى عز وجل فى الحديث القدسي : «**وإني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين**» رواه مسلم .

ومن تغيير فطرة الاسلام التى فطر الله عليها عباده ، كما أخبر ﷺ : «**فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**» (متفق عليه) وفي رواية مسلم (**أو يشركانه**) فتلاعبت شياطين الإنس والجن بفطر البشر السليمة ، ونقلتهم عن ملة التوحيد إلى ملل الضلال والشرك ، وأكثر الناس نصيباً من هذا البلاء فى مثل هذا الزمان وفي مثل هذا النوع من الشرك النشء الصغار من البنين والبنات عندما يذهب بهم إلى المدارس والمنتديات وأماكن إقامة الأعياد الجاهلية وغيرها من الأماكن التى تنصب فيها هذه الأعلام الوثنية . فيقومون صباح كل يوم بأداء الطقوس العبادية لهذه الأوثان ، ويلهجون بذكر الطواغيت والأنداد ، فينشأ الأبناء منذ نعومة أظفارهم على الشرك بالله تعالى ، وهو أمر عظيم جلل لا يدركه كثير من الآباء ، فليتدارك كل إمرء نفسه وليتق الله فيما استرعاه من الذرية والأبناء ، وليعلم أن الله سائله عن هذه الرعية ، وقد ورد فى الأثر عن النبي ﷺ أنه قال : «**ما من عبد يسترعيه الله رعيه ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**» متفق عليه .

فاللهم إنا نعوذ بك من سوء الأعمال وسوء الخواتيم .

القيام تحية عبادية لا تكون إلا لله عز وجل فإن (التحيات لله وحده والصلوات والطيبات)

ومما ينبغي عليك فهمه أيها العبد معنى التحية العبادية التى يختص بها المولى سبحانه . فإن (**التحيات لله وحده والصلوات والطيبات**) فتحية الله عز وجل تكون بفعل العبادة له جل وعلا ، ومن أفعال العبادة (**القيام** ، **والركوع** ، **والسجود** ، **والطواف** ، **وغير ذلك**) فلا ينبغي لمخلوق أن يحيي مخلوقاً مثله أو عَلَماً ويسمي ذلك (**بتحية العَلَم**) بفعل عبادي وتحية عبادية يختص بها الرب عز وجل .

ألا ترى يا ـ عبدالله ـ أن المسلم إذا دخل بيت الله تعالى (المسجد) ووقف بين يدي الله تعالى قام بأداء صلاة ركعتين (**تحية المسجد**) لله عز وجل وهي تشتمل على عبادات منها : القيام والركوع والسجود والذكر وغير ذلك ، يفعلها المسلم تحية لربه عند دخوله بيته جل وعلا ، وإذا دخل بيت الله الحرام قام بأداء عبادة الطواف حول بيته عز وجل (**الكعبة المشرفة**) ثم الصلاة ركعتين خلف مقام ابراهيم تحية له جل وعلا عند دخول بيته . فتحية العبد لربه ـ إذاً ـ تكون بفعل العبادات وعمل الطاعات (**فالتحيات لله وحده والصلوات والطيبات**)

أما تحية المسلم للمسلم فقد شرعها الله عز وجل فى كتابه وهي إلقاء السلام قال تعالى : ﴿**فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً**﴾ (**النور** : ٦١) ولا ينبغي أن يُحيَّا الله عز وجل بالسلام فإن الله سبحانه هو السلام ومن أسمائه السلام . ففي الذكر الوارد : (**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**) .

فيجب - إذاً - فهم معني التحية العبادية التي يختص بها الرب سبحانه ، وكذلك فهم ومعرفة الفرق ما بين توقير الرب جل وعلا وتوقير العبد .

فقد أمرنا الله تعالى أن نوقره بقوله ﴿**مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)**﴾ (**نوح : ١٣ - ١٤**) وأمرنا أن نوقر غيره من البشر . قال ﷺ : «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا**» رواه الترمذى .

ولكن شتان ما بين الوقارين . فالوقار الذى هو لله عز وجل ما كان فيه معنى التعبد له سبحانه سواء كان هذا التعبد متعلقا بعبودية القلب أو بعبودية الجوارح والتى منها القيام والركوع والسجود والطواف والتحاكم والذبح وغير ذلك .

والوقار الذي هو لغير الله تعالى ما كان فيه معنى الاحترام والتوقير الذى لا يصل إلى درجة التعبد . كتوقير الكبير وذي الشيبة والعالم .

فالحاصل من ذلك والمقصود : أن هناك أفعالاً وأقوالا يقوم بها العبد وحقوقاً يؤديها لغيره يتميز بها الله تعالى عن غيره . فحق الخالق ليس كحق المخلوق ، وتحية المعبود سبحانه ليست كتحية العبد ، وتوقير الرب عز وجل ليس كتوقير العبد ، والذى يجهل دين الله وهذه الحقائق ولا يميز ما بين الشرك والتوحيد لابد أن يقع فى أظلم الظلم وهو الشرك بالله تعالى .

فصل

في بيان معنى قوله تعالى

﴿وقوموا لله قانتين﴾

لقد بيَّن الله عزوجل في هذه الآية أحقيته سبحانه بعبادة القيام . فقال : «وقوموا لله قانتين» وقوله «قانتين» أي ساكنين خاشعين ساكتين . كما قال أهل التفسير .

والخشوع هنا : هو السكون ، وهذا هو الصحيح ، وهو سبب نزول الآية . كما سوف يأتي .

يقول القرطبي في تفسيره لما ذكر قول أهل التفسير في معنى قوله تعالى «قانتين» : أي (خاشعين) (ساكتين) . قال رحمه الله : (وهذا هو الصحيح لما رواه مسلم وغيره عن عبدالله بن مسعود قال : كنا نسلِّم على رسول الله ﷺ وهو في الصلاة فيرد علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا فقلنا : يا رسول الله ،كنا نسلم عليك في الصلاة فترد علينا؟ فقال «إن في الصلاة شُغلاً» .

وروى زيد بن أرقم قال : كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت «وقوموا لله قانتين» فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام) أهـ .

فأصل القنوت - إذاً - في هذه الآية هو السكون والخشوع والسكوت . (فالخشوع) سكون ، (والسكوت) سكون .

(فالخشوع) سكون ، لأن من معاني الخشوع في اللغة : السكون . ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا (١٠٨)﴾ وخشعت : أي سكنت .

قال ابن منظور في لسان العرب : (وقوله عزوجل «وخشعت الأصوات للرحمن» أي : سكنت ، وكل ساكن خاضع خاشع)أهـ .[١]

ومن ذلك قوله عزوجل : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ (فصلت : ٣٩) .

فقوله «خاشعة» أي : ساكنة و«اهتزت» أي : تحركت بعد سكونها وربت .

(والسكوت) سكون ، لأنه سكون جارحة اللسان عن التكلم ، فكما أننا أمرنا أن نسكن جارحة اللسان عن التكلم فكذلك أمرنا بإسكان جميع أعضاء الجوارح عن الحركة ، وكما أن عدم إسكان جارحة اللسان عن التكلم مبطل للصلاة . فكذلك عدم إسكان باقي أعضاء الجوارح عن الحركة (لغير ضرورة) مبطل للصلاة وما فيها من عبادة القيام .

(فالخشوع) إذاً سكون ، (والسكوت) سكون .

وهذا هو الأصل في تفسير قوله تعالى «قانتين» أي ساكنين خاشعين ساكتين .

دل عليه سبب نزول الآية ، كما تقدم .

ودل عليه أيضاً اللغة العربية بأن من معاني الخشوع : السكون .

---

(١) لسان العرب (٤/ ١٠٠) .

ودل عليه أيضاً الشرع ، لأن في الشرع إذا قام الإنسان في صلاته ولم يكن في حال قيامه ساكناً بطل قيامه وبطلت صلاته[١] .

فهذا ـ إذاً ـ هو الأصل في تفسير معنى قوله تعالى «قانتين» .

وأما ما جاء من المعاني عن بعض أهل التفسير في تفسير قوله تعالى «قانتين» على خلاف ما ذكر . فإن هذا من (اختلاف التنوع وليس من اختلاف التضاد) وذلك أن أصل معنى القنوت ـ كما تقدم ـ هو السكون والخشوع والسكوت . كما جاءت الأدلة من الشرع واللغة وسبب نزول الآية وأقوال أهل التفسير .

وأما (طول القيام ، والدعاء ، والطاعة) فإن هذه المعاني زائدة على المعنى الأصل ومكملة له .

فالمطيل لقيامه في الصلاة لابد أولاً : أن يكون قد إلتزم معنى السكون في قيامه وإلا كان قيامه باطلاً وصلاته باطلة .

وكذا دعاء القنوت في حال القيام بعد الرفع من الركوع إذا لم يكن من يدعو ملتزماً لمعنى السكون في قيامه فإن صلاته تكون باطله .

وكذا المطيع إذا أطاع الله وامتثل أمره بفعل القيام إذا لم يلتزم معنى السكون في قيامه لم يكن محققاً لأمر الله في الطاعة هنا .

(١) بل إن خشوع وسكون أعضاء الجوارح أعظم من خشوع القلب ـ من جهة صحة الصلاة وعدم صحتها ـ لأن الذي يسكن قلبه ولم تسكن جوارحه فصلاته باطلة ، بخلاف من سكنت جوارحه ولم يسكن قلبه ، فإن صلاته تكون صحيحة ولكن ليس له من صلاته إلا ثلثها ، أو عشرها ، كما ورد في الحديث . وإن كان الأخير هو الأعظم من جهة قرب العبد إلى ربه عز وجل ، ولكونه متضمناً للثاني . وقد رأى بعض السلف رجلاً يصلي وهو يعبث بلحيته فقال : لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه .

فـهـــذه المعـــاني ـ إذاً ـ لا يمكن أن تقـــدم على المعنى الأصل وهو السكون والخشوع ، لأنه أولاً : ليس هناك تضاد أصلاً بين هذه المعاني حتى يقدم بعضها على بعض .

ثانياً : أن أدلة الشرع وأسباب نزول الآيات هي المهيمنة في مثل هذه المسألة وليس هو اجتهاد مفسر أو غيره . كيف وإذا كان هذا المفسر ـ قوله هذا ـ لا يخالف في الأصل ما قد تقرر من التفسير في معنى هذه الآية .

«وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون»

إن المسلّمات الشرعية التي جاء بها ديننا الحنيف ، وثبتت قبل ذلك في الفطرة والعقل لا يمكن ردها بحال ، كما هو الحال فيما هو مُسَلَّمٌ به في أمر التوحيد والشرك ، ومتى يكون الإنسان موصوفاً به .

وإذا ما ذهبت لأستعرض بعض الأمثلة في ذلك . فنجد أن هناك مسلَّمات قد تعارف عليها الناس في أمور حياتهم ومعاشهم . كالمسلَّمات الحسابية ـ مثلاً ـ فإن هناك مسلَّمات حسابية قد اتفق عليها الناس والعقول والأفهام ، وكون الإنسان يرد شيئاً منها . فإن هذا الرد لا يغني من الحق شيئاً . فلو دخلنا ـ مثلاً ـ على أهل قرية وكان عندهم شيء من الأخطاء في التعاليم الحسابية . فعرضنا عليهم أربعة أسئلة للجواب عليها :

أولها : قلنا لهم : إن العدد أربعة إذا جمعناه مع عدد آخر أربعة . ماذا يعطينا من الناتج؟ . أجابونا : بثمانية . قلنا : جيد .

الثاني : قلنا : إن العدد ستة إذا جمعناه مع عدد آخر اثنان . ماذا يعطينا من الناتج؟ أجابونا : بثمانية . قلنا : جيد .

الثالث : قلنا : إن العدد سبعة إذا جمعناه مع عدد آخر واحد ، ماذا يعطينا من الناتج؟ قالوا : ثمانية . قلنا : جيد .

الرابع : قلنا : إن العدد خمسة إذا جمعناه مع عدد آخر ثلاثة ، ماذا يعطينا من الناتج؟ قالوا : عشرة . قلنا : لماذا؟ قالوا : هكذا عُلِّمنا ، وهكذا تلقينا هذه التعاليم من أكابرنا . ونحن على حق وأنتم على باطل .

فالسؤال هنا : هل هذا الباطل الذي هم عليه يغني من الحق شيئاً؟ !

وهل هذه التعاليم التي تلقوها من أكابرهم وعلمائهم ـ وهم يتظالمون بسببها فيما بينهم بضياع حقوقهم ـ هل هذه التعاليم نافعة لهم ، ولهم فيها حجة على خالفهم .

والجواب بلا شك : لا .

فأقول : إذا كانت الأفهام لا تقبل بمثل هذه المعادلات الحسابية الخاطئة . فكيف بها أن تقبل بما هو ثابت بالفطرة والعقل والميثاق والشرع من توحيد الله وبيان الشرك ، وأن مانص الله عز وجل عليه من العبادة فإن صرفه لغيره يُعد شركاً وكفراً به سبحانه؟ !

كيف يقال بأن من سجد للعَلَم ـ حتى لو لم يكن معظماً له ـ كان بهذا الفعل كافراً ، ومن ركع للعَلَم ـ وإن لم يعظمه ـ كان كافراً ، ومن طاف حول العَلَم ـ وإن لم يعظمه ـ كان كافراً ، ومن قام للعَلَم لم يكن بهذا الفعل كافراً؟ ! وقد قرن الله تعالى هذه العبادات الأربع ـ بآية واحدة وبيَّن أحقيته بها جميعاً . قال تعالى : ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** (٢٦)﴾ (الحج) .

كيف يقبل العقل بهذه النتيجة الفاسدة التي تفرق ما بين حق الله تعالى في عبادة السجود والركوع والطواف وبين حقه في عبادة القيام؟ !

إن مثل هؤلاء كمثل أولئك الذين جاؤوا بالنتائج الحسابية الخاطئة الجائره . فظلموا بها أنفسهم .

إن ظلم الشرك أعظم من ظلم النفس لما يؤول بصاحبه من الخلود في النار والحرمان من رحمة الله وجنته ورضوانه ، ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** (١٣)﴾ (لقمان) .

ذكر الفرق ما بين قيام العادة وقيام العبادة مع بيان أن قصد التعظيم إنما هو زيادة في كفر القائم للعَلَم وليس هو شرطاً لكفره

ومما ينبغي أيضا على العبد معرفته هنا أن القيام نوعان :

١ ـ قيام عادة أو حاجة . ٢ ـ وقيام عبادة .

وينقسم قيام العبادة إلى قسمين : (قيام يكون بقصد التعبد) (وقيام يكون على وجه التعبد) كما سوف يأتي بيان ذلك .

أما النوع الأول : وهو قيام العادة : فصوره كثيرة ، وهو أن لا يظهر من القائم في قيامه أي معنى من معاني التعبد للمقام له . كأن يقوم الإنسان من مجلسه ليسلم على قادم ، أو يقوم بين يدي إنسان ويستمع له وهو يتحدث ، أو ما شابه ذلك

وأما قيام العبادة : فهو أن يقوم الإنسان لمخلوق أو عَلَم أو غيره قيام فيه معنى السكون بقصد أن يصرف له هذا الفعل على هذه الهيئة وهذه الصورة بجوارحه قاصدا أداء الفعل نفسه للمقام له كما يقوم المسلم فى صلاته ساكنا بين يدي ربه ، فهذا شرك بالله تعالى في جانب العمل مخرج عن الملة ، وإن لم يقصد الفاعل في قيامه التعظيم للمقام له ، فإن صاحب ذلك قصد التعظيم بالقلب كان شرك القائم أغلظ وأشد . إذ قد جمع فى هذه الحالة ما بين شركين وكفرين .

شرك القلب وشرك الجوارح ، والكفر الباطن والكفر الظاهر . وذلك أن التعظيم عبادة قلبية باطنة والقيام عبادة فعلية ظاهرة .

ولا يشترط أهل السنة فى الكفر العملي الظاهر الكفر العملي الباطن ، لا يشترط ذلك إلا المرجئة ، هذا أولاً .

ثانياً : أن هناك فرقا بين ما يفعل (بقصد التعبد) وبين ما يفعل على (وجه التعبد)

فالأول : متعلق بالباطن لأن القصد محله القلب ، وكذا النية .

والثاني : متعلق بالظاهر ، لأن وجه الشيء وصورته تكون فى الظاهر ، وهو متعلق بأعمال الجوارح ، فلينتبه لهذا .

فإذا قيل مثلاً : إنسان قائم على (وجه التعبد) أي : قائم على هيئة الخشوع الذى هو السكون ، والخشوع من أجل معانى العبادة ، فلينتبه أيضاً لهذا(١) .

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ (وأشرف العبودية عبودية الصلاة ، وقد تقاسمها الشيوخ والمتشبهون بالعلماء والجبابرة ، فأخذ الشيوخ منها أشرف ما فيها وهو السجود ، وأخذ المتشبهون بالعلماء منها الركوع فإذا لقي بعضهم بعضاً ركع له كما يركع المصلي لربه سواء ، وأخذ الجبابرة منهم القيام فيقوم الأحرار والعبيد على رؤوسهم عبودية لهم) أ هـ . (زاد المعاد ٤ / ١٦٠)

وقد رد ابن القيم رحمه الله . على بعض الجهلة الذين يدعون الإسلام ويظنون أن الإنسان لا يكفر بصرف شيء من العبادة لغير الله إلا إذا كان ذلك منه بقصد التعبد . أما إن قصد الاحترام أو التحية أو ما شابه ذلك فلا يكفر بذلك ، وهذا هو عين الجهل بدين الله تعالى . قال رحمه الله : (ومن أنواع الشرك

(١) وأصل الخشوع هنا : هو السكون وليس هو طأطأة الرأس وخفض الجناح ، وإنما هذه معاني زائدة على معنى الخشوع ومكملة له .

سجود المريد للشيخ ، فإنه شرك من الساجد والمسجود له ، والعجب أنهم يقولون ليس هذا سجود وإنما هو وضع الرأس قدام الشيخ احتراماً وتواضعاً . فيقال لهؤلاء ولو سميتوه ما سميتموه فحقيقة السجود وضع الرأس لمن يسجد له) أ هـ (مدارج السالكين ١ / ٣٧٤) .

فالحاصل من ذلك كله أن التعظيم ، أو قصد التعظيم ، أو قصد التعبد ، أو قصد التقرب ، أو غير ذلك . كل هذه الأمور ـ هي أعمال قلبية باطنة ـ لا يشترط وجودها هنا إلا المرجئة الذين يشترطون في تكفير من صرف العبادة الظاهرة لغير الله وجود شيء من هذه الأعمال القلبية الباطنة . فلو طاف إنسان ـ مثلاً ـ حول العَلَم ، أو قام له ، أو سجد ، أو ركع له . ثم قال : إن قلبي لم ينعقد على شيء من التعظيم لهذا العَلَم ، وإنما أفعل ذلك فقط تحية له ، أو مداراة لأحد ، أو غير ذلك . فهذا يكون مشركاً كافراً قد جاء بالكفر العملي الظاهر . فإن صاحب هذا قصد التعظيم بالقلب كان كفر القائم أشد وأغلظ . لاجتماع الكفرين فيه جميعاً . الظاهر والباطن ، وكفر القلب وكفر الجوارح ، وذلك أن قصد التعظيم هو زيادة في كفر القائم وليس هو شرطاً وقيداً لكفره .[(١)]

(١) ثم إن وضع اليدين اليمين على الشمال في حال القيام (في الصلاة) وعدم إسدالهما إنما هو سنة ، وهو أمر زائد على فعل القيام . فالعبادة ليست هي وضع اليدين . وإنما العبادة هي القيام ذاته على هيئة السكون ، فمن لم يلتزم معنى السكون في حال القيام والصلاة بطل قيامه وبطلت صلاته . فإسدال اليدين ـ إذاً ـ أو عدم إسدالهما لا يغير شيئاً من معنى العبادة في فعل القيام ، ولو أسدل المصلي يديه في حال قيامه كانت عبادة القيام عنده صحيحة . فكيف يقال : أن الإنسان إذا قام للعَلَم وتلا نشيد العَلَم الوطني ووضع يديه «اليمين على الشمال» كان بهذا الفعل مشركاً ، وإذا أسدل يديه لم يكن مشركاً؟ ! ، وإن مثل ذلك كمثل من يقول إن الإنسان إذا سجد لعَلَم أو وثن الله وطبق سنة السجود في حال سجوده من المجافاة بين يديه كان بهذا الفعل مشركاً بالله ، وإذا سجد لغير الله ولم يجافي بين يديه لم يكن بهذا الفعل مشركاً .

المشابهة الثالثة

في إقامة الأعياد الجاهلية فرحاً منهم بإتمام العبادة لتلك الأعلام والأنصاب والأوثان

فكما أن الله جل وعلا قد شرع لعباده أعياداً يفرحون بها بإتمام العبادة فيها لله عز وجل . كما في عيد الفطر وهو إتمام لعبادة الصيام لله تعالى ، وعيد الأضحى وهو إتمام لعبادات كثيرة كالحج ، والنسك ، والذبح ، والطواف ، والقيام ، والركوع ، والسجود ، وسائر العبادات . فيقوم المسلمون فيها بشكر الله تعالى والتكبير والتهليل والذكر على ما أتم الله عليهم من عباده وما هداهم الله إليه . فكذلك الشيطان قد شرع لأوليائه من المشركين أعياداً يفرحون بها بإتمام عبادتهم للشيطان ولأوثانهم وطواغيتهم .

فها هم قوم موسى عليه السلام لما أتموا عبادة العجل شرعوا بإقامة الأعياد والاحتفالات والرقص والغناء حول العجل ، وقد أشرب حبه فى قلوبهم . قال تعالى : ﴿**وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ**﴾ **(البقرة :٩٣)** .

ذكر القرطبي فى تفسيره عند قوله تعالى : ﴿**قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ** ﴿٩١﴾﴾ **(طه :٩١)** ، قال : (فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل . قال للسبعين معه : هذا صوت الفتنة)أهـ .

وها هي أمة النصارى لما عبدوا الصليب والمسيح ، شرعوا بإقامة أعيادهم الجاهلية فرحاً منهم بإتمام عبادتهم للصليب والمسيح ، وما كان صلاتهم فى كنائسهم إلا ضرب من الطرب والغناء والابتهاج بعبادة المسيح .

وما مشركو الجاهلية الأولى ببعيد عن ذلك . فما : ﴿**كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً** ﴾ **(الأنفال : ٣٥)** .

قال أهل التفسير : المكاء والتصدية هو التصفير والتصفيق .

وكذا عباد القبور الذين شرعوا هم أيضاً بإقامة أعيادهم الجاهلية والموالد والاحتفالات فرحاً منهم بإتمام عبادتهم لتلك القبور وما فيها من مقبورين . كما هو حاصل فى مولد البدوي وغير ذلك .

وكذا نجد هذه السنة مترسخة فى الذين أقدموا على عبادة الأعلام وقد اعتادوا على إقامة الأعياد الجاهلية والرقص والغناء حول هذه الأعلام فرحاً منهم بإتمام العبادة لتلك الأعلام والأوثان .

وقد حدثتني نفسي يوماً وحادثت ابني بأمر - وقد كان غلاماً آنذاك - في يوم إقامة تلك الأعياد الجاهلية ، وقد نصب هؤلاء أعلامهم في كل بقعة من الأرض ، وبالأخص مكان إقامة عيدهم وتجمعهم في يوم الزينة وفي يوم السكرة (سكرة الشرك) في (ساحة العَلَم) وقد نصبوا في تلك الساحة أعلاماً صغيرة ونصبوا في وسط هذه الأعلام الصغيرة علماً كبيراً . فقلت لابني : هل لك أن تقدم على ما أقدم عليه أبوك إبراهيم عليه السلام ، فتقوم فى آخر الليل بتمزيق وتحطيم تلك الأعلام الصغيرة وتترك العَلَم الكبير الذي في وسطها : ﴿**لعلهم إليه يرجعون**﴾ فإن هم أدركوك وسألوك أأنت فعلت هذا بأعلامنا؟ فأجب عليهم بما أجاب به أبوك إبراهيم عليه السلام : ﴿**بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون**﴾ .

فإن هم وعوا ذلك وانتبهوا إلى ما هم عليه من الباطل والشرك فذلك ما

نصبوا إليه . وإن هم نكسوا على رؤوسهم . وقالوا : ﴿**لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**﴾ فقل : ﴿**أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون**﴾ .

وإن هم أرادوا بك كيدا فاعلم أن الله جاعلهم هم الأخسرون . وقل حسبي الله ونعم الوكيل . فإن الله حافظ عباده وكافهم وناصرهم على القوم الظالمين قال تعالى : ﴿**أليس الله بكاف عبده**﴾ ، وقال تعالى : ﴿**إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور**﴾ وقال تعالى : ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾ .

فاللهم إنا نعوذ بك من الضلال وسوء الحال وسوء المآل ، واحفظنا يا أرحم الراحمين ، واحشرنا في عبادك الصالحين ، غير خزايا ولا مفتونين .

الأحكام المتعلقة
بهذه الأعلام وهذه الأوثان

لقد تقدم بيان معنى الوثن وأنه : هو الشيء المقيم فى مكانه الراكد الثابت الدائم . (لسان العرب) .

فالوثن : هو كل عبد من دون الله من الجمادات .

قال ﷺ : « **اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد** » .

فقوله : «**وثنا يعبد**» أي يصرف له شيء من العبادة .

وهذا فيه دليل على أن الشيء من الجمادات متى صرف له شيء من العبادات أصبح وثنا .

بهذا المفهوم الشرعي يتبين لنا أن الأعلام داخله فى جملة الأوثان والمعبودات التى عبدت فى الأرض بسبب صرف عبادة القيام لها . وعليه فإنه يتنزل عليها عدة أمور وأحكام :

الحكم الأول

اتخاذها والتعلق بها والموالاة والمعاداة لأجلها

وهو كفر بالله . قال تعالى عن ابراهيم عليه السلام في قوله لقومه : ﴿ **وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (٢٥)** ﴾ **(العنكبوت)** . وقال تعالى : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ **(البقرة : ١٦٥)** .

الحكم الثاني
القيام لها على وجه السكون
مع بيان أن هذا الحكم يدخل فيه جميع الأعلام
التي يوجد عليها لفظ الجلالة أو كلمة التوحيد أو غيرها

وهو كفر بالله أيضا مخرج عن الملة . قال تعالى : ﴿**وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨)**﴾ **(البقرة)** .

ويدخل فى ذلك أيضا القيام للأعلام التي يوجد عليها لفظ الجلاله أو كلمة التوحيد ، أو ما شابه ذلك ، فإن حكمها يلحق بحكم غيرها من الأعلام والقيام لها من الشرك فى العبادة لأن الله تعالى لم يشرع قط القيام لها ، وإنما الذى شرع ذلك هو الشيطان ليوقع متبعيه فى الشرك الأكبر والكفر بالله ، وقد قال تعالى : ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾ (الأعراف : ٣) وقال تعالى : ﴿**وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩)**﴾ (النساء) .

ولو جردت كلمة التوحيد عن هذه الأعلام لقام أصحاب الأعلام لأعلامهم كما ولو وجدت الكلمة ، فأصل القيام هنا للعَلَم وليس للكلمة .

وإن ادعى مدع أن القيام هنا يكون لرمز التوحيد المتمثل بكلمة التوحيد الموجودة على هذا العَلَم وليس للعَلَم ذاته . كانت دعواه هذه كاذبة ومردودة ، وهو من التلاعب في الدين وذلك أن كلمة التوحيد لا يكاد أن يخلو حائط أو جدار إلا وقد وجدت عليه ،فلماذا يترك هؤلاء القيام لها ويقصدون هذه الرايات الوثنية !

ولو أن أصحاب القبور والأصنام وضعوا على أصنامهم وأوثانهم لفظ الجلاله أو كلمة التوحيد ثم سجدوا لها أو ذبحوا لها لكان هذا منهم شركاً بالله .

فالتوحيد هو إفراد الله تعالى بالعبادة وبكل ما هو حق له .

والشرك هو جعل شيء من العبادة لغير الله بغير أمر ولا سلطان من الله عز وجل . قال تعالى : ﴿**وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** (٣٣)﴾ **(الأعراف)** . وقال تعالى : ﴿**قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ** (٥٩)﴾ **(يونس)** .

وما هذا الذي نراه اليوم من وجود مثل هذه الأعلام التي يوجد عليها لفظ الجلاله أو كلمة التوحيد إلا تلبيس من شياطين الإنس والجن على كثير من الناس ليلبسوا عليهم أمر دينهم : ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** (١١٢)﴾ **(الأنعام)** .

الحكم الثالث

تعليقها ولبسها بجعلها شعارات

ترتفع على الجباه وتوضع على الصدور

وهو كفر . وقد أغلظ النبي عليه الصلاة والسلام على عدي بن حاتم لما دخل وفي عنقه صليب من ذهب . فقال له : «**يا عدي إطرح عنك هذا الوثن**» رواه الترمذي

فتعليق الأعلام والصلبان وغيرها من الأوثان كفر بالله مخرج عن الملة . سواء كان ذلك مقروناً بفساد الاعتقاد فيكون الكفر حينئذ باطنا وظاهراً ، أو لم يكن مقروناً به فيكون الكفر حينئذ ظاهراً . فمن لبس صليباً أو عَلَما وعلقه بقصد إبرازه وإظهاره مداراة لأحد ، أو مداهنة لمخلوق أو طلباً لدنيا ، أو غيره من غير إكراه على ذلك . فهو كافر بعد التعريف والبيان ، وكفره هنا بسبب أنه قد

وافق أهل الشرك وعبادة الأوثان على دينهم ظاهراً . فيحكم عليه هنا بالظاهر .

أما السرائر فالله يتولاها ، ولذلك قال النبي ﷺ لعمه العباس لما أسره المسلمون يوم بدر وقد خرج مكرهاً مع المشركين : «**أما ظاهرك فكان علينا ، وأما سريرتك فإلى الله**» .(رواه ابن جرير فى تفسيره)

فعامله النبي ﷺ معاملة الكفار بأن جعله يفدي نفسه . ولم يلتفت إلى سريرته وقلبه .

ثانياً : أن فى تعليقها ولبسها إقرار ضمني لأهل الشرك والكفر على شركهم وباطلهم .

ثالثاً : أن هذا الفعل ينافي أصل التوحيد الذي هو الكفر بالطاغوت . فإن العَلَم طاغوت ووثن يعبد فى الأرض والكفر به من أوجب الواجبات وتعليقه بقصد إبرازه وإظهاره بما فيه رفعه له ينافي الركن الأول من التوحيد وهو الكفر بالطاغوت ، فما كفر بالطاغوت من أعلاه ورفعه وجعل له مكانه . ومن لم يكفر بالطاغوت فليس بمسلم ، كما بين الله تعالى ذلك فى كتابه : ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ **(البقرة : ٢٥٦) والعروة الوثقى** : هي الإسلام .

وقد قال ﷺ كما في صحيح مسلم . لعمرو بن عبسه السلمي لما سأله : بأي شيء أرسلك الله؟ قال : «**أرسلني بصلة الأرحام ، وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء**» .

رابعاً : قد يشكل على البعض هنا كون المعلق لهذه الأوثان وهذه الأعلام واقع فى الكفر وهو لم يقر أهلها على شيء مما هم عليه .

فيقال جوابا على ذلك : لقد ذكر الله عز وجل فى كتابه العزيز وحكم بكفر من جلس فى مجلس خاض فيه أهله بآيات الله واستهزؤوا بها ثم لم يقم من هذا المجلس وينكر على أهله . فقال سبحانه : ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)**﴾ (**النساء**) .

وهذا فيه دليل على أن الرضى والإقرار والادعاء والموافقة كما أنها تكون بلسان المقال فكذلك تكون بلسان الحال . ولسان الحال أبلغ من لسان المقال كما يقال ، وهذا مما له اعتبار فى الشرع فى تنزيل الأحكام ، فإن الذى يجلس فى مجلس يكفر به بآيات الله وهو مصر على البقاء قد رضى بما عليه أهل هذا المجلس من الكفر ولهذا كان حكمه حكمهم « إنكم إذاً مثلهم» وهذا فى حق من جلس فقط فى هذا المجلس ولم يقم . فكيف بمن يظهر بعض الأفعال الكفرية التى لا يستقيم معها إيمان وإسلام؟ ! .

هذا بالنسبة للحكم الثالث وهو تعليق هذه الأوثان ولبسها بقصد إظهارها على الأبدان .

أما بالنسبة لما عمت به البلوى فى هذا الزمان من دخول هذه الأوثان على هيئة شعارات وغيرها فى أمتعة الناس وحاجياتهم فى الأوراق والأموال وغيرها مما يحتاج الإنسان ويضطر إلى حمله ، ومما فيه مشقه على الإنسان في الاحتراز منه . فنسأل الله عز وجل أن يكون هذا الشيء مما . قال تعالى فيه : ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ (الحج : ٧٨) .

الحكم الرابع

التعبد لله عز وجل والصلاة عندها

وفي الأماكن والبقع التي يقام لها فيها

كمواطن إقامة الأعياد الجاهلية وساحات المدارس وغير ذلك ، وقد جاء المنع عنه فى الشرع . ودليل ذلك قوله ﷺ كما في حديث ثابت بن الضحاك قال : (نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة . فسأل النبي ﷺ فقال : «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا : لا . قال «فهل كان عيد من أعيادهم؟» قالوا : لا . فقال رسول الله** ﷺ : **أوف بنذرك**» الحديث (رواه أو داود) .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رحمه الله في كتاب التوحيد (فيه مسائل : السادسة : المنع منه (أي النذر) إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ، ولو بعد زواله . السابعة : المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولم بعد زواله) انتهي .

قلت : وهذا فى حال زواله : فكيف في حال وجوده؟ !

وإذا كان المولى سبحانه قد نهى رسوله ﷺ عن الصلاة فى مسجد الضرار **(والأمة تبع له فى ذلك)** الذي أسس على غير تقوى من الله . قال تعالى : **﴿ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ (التوبة : ١٠٨)** فكيف بالصلاة فى أماكن الشرك التي يعبد فيها غير الله عز وجل ، ويقام فيها للأوثان ، ويتخذ فيها الأنداد والطواغيت شركاء مع الله؟ !

﴿تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً﴾

البحث عن سر
فتوى الأحبار والرهبان من هيئة كبار العلماء القديمة
والتى فيها تكفير من قام للعلَم

هذه دعوة إلى الأخوة أصحاب المنتديات والقائمين عليها وطلبة العلم للبحث عن سر الفتوى القديمة التى أصدرها الأحبار والرهبان فى هيئة كبار العلماء ، والتى تنص على كفر من قام للعَلَم ، وتتضمن تكفير الدولة التى تنصب هذه الراية ثم تندب الناس إلى صرف عبادة القيام لها . سواء وجدت على هذه الراية لفظ الجلاله أو كلمة التوحيد أو كانت مجردة .

فالسؤال هنا :

١ ـ أين هذه الفتوى المحررة؟

٢ ـ ولماذا غيرت؟ بعدما نصوا فيها وبينوا أن القيام للعَلَم من البدع المكفرة ثم أخفيت هذه الفتوى وأصدرت فتوى أخرى على أنها بدعه منكره (**أي أنها مجرد معصيه**) .

والذي أقوله هنا أن سر اختفاء هذه الفتوى التي أخبرني بها أحد كبار العلماء ثم ذهبت إلى عالم آخر فقرر لي هذا الخبر وقال أن هناك من العلماء من شارك في الفتوى القديمة (وسمَّى لي اسمه) قد غضب لهذا التغيير ، وقد توفي هذا العالم ولا أدري هل مات على دين محمد الذي عهد أم على دين أبي جهل وأبي لهب .

فالحاصل من الكلام هنا أن سر اختفاء هذه الفتوى لا يفسر إلا بأمرين :

الأمر الأول : أن يكون هذا من الجهل بالدين . إذ كيف تجتمع مجموعة من العلماء وتأصل قضية في الدين على أنها من المكفرات ثم إذا بها تجعلها من المعاصي والمنكرات (**وهذا الأمر بعيد**) .

الأمر الثاني : (**والذي أراه هو الأقرب**) : أن يكون هذا من اللعب بالدين وإتباع سنن الملعونين من أحبار اليهود الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ **تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً** ﴾ (الأنعام : ٩١) .

وذلك بالكتم والمداهنة لهذه الدولة الوثنيةالتي تزعم رفع راية التوحيد والإسلام (**والإسلام منها بريء**) مع ما تأتي به كل يوم من الكفر البواح من تولي الكافرين ومناصرتهم والتحاكم إلى الطواغيت (الأمم المتحدة الملحدة) ، والتي منها أيضاً التشبه بالأمم الكافرة في نصب الرايات فى كل بقاع الأرض ودعوة الناس لصرف عبادة القيام لها .

والأعجب من ذلك أن هذه الدولة الوثنية التي ترفع هذه الأوثان والرايات أصبحت تتباهى بأنها هي الدولة الوحيدة التي تلتزم الإسلام وتكفر بالأوثان والقبور .

فالسؤال هنا : ما الفرق بين من يرفع قبراً أو ضريحا ويدعو الناس إلى صرف عباده الطواف له وبين من ينصب راية ويدعو الناس إلى صرف عبادة القيام لها؟ ! وقد بين الله تعالى أن هذه العبادات هي حق له وحده . فقال : ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦)**﴾ (**الحج**) .

الفهرس

مقدمة : في بيان غربة الدين وعاقبة الشرك بالله ١

ما جاء في اتباع هذه الأمة لسنن من كان قبلها ، ولحوق الكثير منهم بالمشركين٤

المشابهة الأولى : في دخول هذه الأمة في دين الشرك الذي دخلت به غيرها من الأمم ٤

المشابهة الثانية : في نصب الأنصاب والأعلام والأوثان في بقاع الأرض وندب الناس إلى صرف العبادة لها ٦

فصل : في بيان أن القيام من صور العبادة التي لا تكون إلا لله وأن من صرف هذه العبادة لغير الله من وثن أو عَلَم أو صليب فقد دخل في دين الشرك المنافي لدين التوحيد ١٠

فصل : القيام تحية عبادية لا تكون إلا لله عز وجل فإن (التحيات لله وحده والصلوات والطيبات) ١٢

فصل : في بيان معنى قوله تعالى ﴿وقوموا لله قانتين﴾ ١٤

«وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون» ١٨

ذكر الفرق ما بين قيام العادة وقيام العبادة مع بيان أن قصد التعظيم إنما هو زيادة في كفر القائم للعَلَم وليس هو شرطاً لكفره ٢٠

المشابهة الثالثة : في إقامة الأعياد الجاهلية فرحاً منهم بإتمام العبادة لتلك الأعلام والأنصاب والأوثان ٢٣

الأحكام المتعلقة : بهذه الأعلام وهذه الأوثان ٢٦

الحكم الأول : اتخاذها والتعلق بها والموالاة والمعاداة لأجلها ٢٦

الحكم الثاني : القيام لها على وجه السكون مع بيان أن هذا الحكم يدخل فيه جميع الأعلام التي يوجد عليها لفظ الجلالة أو كلمة التوحيد أو غيرها . . . ٢٧

الحكم الثالث : تعليقها ولبسها بجعلها شعارات ترتفع على الجباه وتوضع على الصدور ٢٨

الحكم الرابع : التعبد لله عز وجل والصلاة عندها وفي الأماكن والبقع التي يقام لها فيها ٣١

﴿تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً﴾ . . البحث عن سر فتوى الأحبار والرهبان من هيئة كبار العلماء القديمة والتى فيها تكفير من قام للعَلَم ٣٢